المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 07 -- العدد 02 -- ديسمبر 2016 ص 192 - 198

منهج المؤرخ سعد الله في تصدير المؤلفات التاريخية

The historian Saadullah approach to exporting historical literature

طالب الدكتوراه. حسين عبد الهادي Doctorant. Houcine Abdelhadi h_a_hadi@hotmail.fr	تاريخ حديث و معاصر	جامعة الجيلالي ليابس - سيدي بلعباس - الجزائر

DOI :

ملخص

تهدف هذه المداخلة إلى تسليط الضوء على نشاط علمي مارسه المؤرخ سعد الله ضمن جهوده في تأطير الأجيال الجديدة وتشجيعها على الكتابة التاريخية، وتزكية نتاجها العلمي، ودعم إضافاتها في حقل الكتابة التاريخية الجزائرية ؛ ألا وهو "التصدير".

نَظَرَ المؤرخ سعد الله إلى "تصدير" مؤلفات طلبته الذين أشرف على تكوينهم على أنها مساهمة منه في إرساء تقاليد التزكية العلمية التي خفت بريقها في الجزائر، واستعادة لهذا التقليد التراثي القديم الذي طالما أشار إليه في مواضع من مؤلفه الموسوعي "تاريخ الجزائر الثقافي"، هذا من جهة. ومن جهة ثانية باعتباره مؤرخًا ذو مراس طويل له أهلية نقل خبراته وتجاربه للأجيال اللاحقة.

اعتبر المؤرخ سعد الله ممارسته لهذا المجهود العلمي وفي محطات مختلفة من مسيرته العلمية مساهمات عملية في تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية عن طريق تخريج أجيال من الباحثين في التاريخ الجزائري، والتعريف بهم وتزكية نتاجهم.

تتطرّق المداخلة إلى دراسة وتحليل منهج المؤرخ سعد الله في كتابة "التصدير" من خلال نماذج مختارة، رُوعي في اختيارها الفترة الأخيرة من عمره، يعني على امتداد ثلاثين سنة من حياة المؤرخ سعد الله، بعد أن ذاع صيته وسمق شأنه داخل الجزائر وخارجها.

الكلمات المفتاحية : سعد الله؛ منهج؛ مؤرخ؛ الجزائر؛ تاريخ.

Abstract

This intervention aims to shed light on a scientific activity carried out by the historian Saadullah in his efforts to frame new generations and encourage them to write historical, and recommend their scientific output, and support their additions in the field of Algerian historical writing; It is "export."

The historian Saadallah viewed the "export" of the works of his students who supervised their formation as a contribution from him in establishing the traditions of scientific sponsorship that have shed their luster in Algeria, and the restoration of this ancient traditional tradition, which he has always referred to in the places of his encyclopedic author "The History of Algeria's Cultural", this from direction. On the

other hand, as a historian with a long history, he is competent to pass on his experiences and experiences to subsequent generations.
The historian Saadallah considered his practice of this scientific effort and in various stages of his scientific career practical contributions to the founding of the Algerian historical school by graduating generations of researchers in Algerian history, introducing them and recommending their results.
The intervention touches on the study and analysis of the historian Saadullah's approach to writing "export" through selected models, which were taken into account in his selection of the last period of his life, meaning over thirty years of the life of the historian Saadullah, after he made his reputation known and made his reputation inside and outside Algeria.
Key words: Saadallah, curriculum, historian, Algeria, history.
Keywords: The curriculum ; Saadallah ; Historian ; National ; Algeria.

مقدمة

ولد أبو القاسم سعد اللّه سنة 1930 في قرية قمار بضاحية البدوع بالجنوب الشرقي الجزائري، حفظ القرآن الكريم، ثم واصل تعليمه بجامع الزيتونة بتونس بين 1947-1954، وتحصّل على شهادة الأهلية وكان الثاني في دفعته المتخرجة، ومنذ صغره أولى اهتماما بالأدب حتى لقّب بالناقد الصغير.

انتقل إلى القاهرة في أكتوبر سنة 1955 بمساعدة من جمعية العلماء المسلمين، حيث التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية وحصل منها على شهادة الليسانس سنة 1959.

أولاً: الحياة العلمية للمؤرخ سعد الله

سافر إلى أمريكا سنة 1962 والتحق بجامعة مينوسوتا (Minnesota)، التي حصل منها على شهادة الماجستير والدكتوراه في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، وبين 1965-1967 كان أستاذا في جامعة أوكلير ولاية ويسكنسن، وفي 1967 التحق بجامعة الجزائر، وفي سنة 1993 تحصل على منحة فولبرايت فبقي في أمريكا ثلاث سنوات أتم فيها تحرير "تاريخ الجزائر الثقافي"، وفي 1996 أصبح أستاذا بجامعة آل البيت بالأردن إلى سنة 2002 حين رجع إلى جامعة الجزائر أستاذا متعاقدا. ولم ينقطع طيلة مسيرته العلمية عن الإنتاج العلمي في غالب أنواعه(1).

ثانيا: تنوع المساهمات العلمية للمؤرخ سعد الله

ساهم عميد المؤرخين الجزائريين في صنوف عدّة من صنوف التأليف خلال مساره العلمي الممتد لأزيد من نصف قرن، انطلاقا من تعدد المجالات العلمية التي أدلى

بدلوه فيها، وخاصة تلك التي خاض فيها بحكم التخصص الأكاديمي. ويهمنا في هذا المقال أن نركز على جانب واحد من الجوانب التي تبوأ فيها سعد الله مكانة الريادة والسبق، ألا وهي **التصدير** لمؤلفات طلبته وإبراز جهودهم والتعريف بجهودهم، بعد أن كان له الإسهام الكبير في التعريف بعلماء الجزائر من خلال الترجمة لهم، وهو بهذا يربط المعاصر بالسابق(2).

ثالثا: تعريف التصدير

1- لغةً: جاء في **"تاج العروس"** الصَّدْرُ: أعلى مُقدَّمِ كُلِّ شَيءٍ وأوَّلُه حتى أنهم ليقُولُون : صَدْرُ النَّهَارِ والليلِ وصَدْرُ الشِّتاءِ والصَّيْف وما أشبه ذلك ويقولون : كُلُّ ما واجَهَكَ صَدْرٌ ومنه صَدْرُ الإنسان . والصَّدَارَةُ بالفتح : التَّقَدُّمُ. (3)

وفي "لسان العرب" الصَّدْر أعلى مقدَّم كل شيء وأَوَّله. والصُّدْرة من الإنسان ما أَشرف من أَعلى صدْره ومنه وصَدَّر كتابه جعل له صَدْراً. (4)

وفي "مختار الصحاح"، صدر كل شيء أوّله، وصدَّر كتابه تصديرا جعل له صدرا. (5)

2-اصطلاحاً: كلمة يكتبها المؤلِّف في أوَّل كتابه يعبِّر فيها عن ملاحظات شخصيّة موجَّهة إلى قارئ الكتاب، وتنتهي عادة بفقرة فيها شكر للأشخاص والهيئات التي ساعدته في بحثه. صدَّر المُؤلِّفُ الكِتابَ: وضع له مقدِّمة وتوطئة، مَهَّد له (معجم معاني الجامع).

رابعًا: منهج التّصدير عند المؤرخ سعد الله.

كان المؤرخ سعد الله صاحب رؤية تاريخية، ورسالة فكرية تربوية، كما أنه مؤرخ يتميز بغزارة إنتاجه، فقد بلغت مبلغا كبيراً ساهم ذلك في ذيوعها شرقا وغربا بين العرب والعجم، وأكسبته شهرة علمية واسعة، وثقة كبيرة عند المشتغلين بالبحث التاريخي. ومن المقرّر أنّ قيمة التاريخ الذي تقرأه في الكتب تعتمد أساسا على اتساع اطّلاع الكاتب وإتقانه لمنهج البحث التاريخي. ولاشك أنّ الإطّلاع الواسع هو الركيزة الأولى التي لابد منها لكتابة تاريخ علمي صحيح.وكل هذا جعل بعض طلاّبه ومحبيه يقصدونه ويطلبون منه التصدير لمؤلفاتهم، فأوْلى بعضًا منهم عناية ورعاية؛ فقام بتصدير مؤلفاتهم.وقبل الحديث عن منهج سعد الله في التصدير، يَحسُن التعريف بالعينات التي اعتمدنا عليها لتوضيح هذا المنهج.

1- عيّنات قيد الدراسة

اخترت لدراسة هذا الموضوع عينتين، مراعيا التباعد الزمني بين الأول والثاني، فإذا كان الكتاب الأول قد صدّره بتاريخ17 جانفي **(6)**1984، فالثاني صدّره بتاريخ 10 أفريل 2010.(7) وهذا التباعد الزمني الذي بلغ 26 سنة يساعدنا على رصد أهم الثوابت والمتغيرات في منهج المؤرخ سعد الله في كتابة التصدير، كما يساعدنا على مقارنة التطور الذي طرأ على تصور المؤرخ سعد الله للموضوعات التاريخية، وتعمق تحليله لها.

كما توخيت المغايرة بين عينتين من حيث جنس صاحب الكتاب، فقد كان الكتاب الأول لرجل، والثاني لامرأة، وهذا التغاير يمنحنا فرصة معرفة طريقة صياغة التصدير، وهل لجنس صاحب الكتاب تأثير على الصياغة و المنهج التصدير مع أن كلاهما تناول موضوعا تاريخيا خاصا بتاريخ الجزائر المعاصر.

أما العينية الأولى: فهي تصديره لكتاب عبد الحميد زوزو، الموسوم بـ**"نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900**، الصادر عن ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر في سنة 2007، وضمّ 272صفحة.

وأما العينية الثانية: فهي تصديره لكتاب نجاة بيّة، المعنون بـ**"المصالح الخاصّة والتقنية لجبهة وجيش التّحرير الوطنيّ 1954-1962**، الصادر عن دار حبر بالجزائر في سنة 2010، واحتوى 302صفحة.

2- سمات منهج التصدير عند أبي القاسم سعد الله.

إذا كان التاريخ علم نقدٍ وتحقيق، فلابد أن يكون المختص فيه ناقداً نافذ البصيرة قادراً على تحليل كل عمل تاريخي، والذي تعوزه ملكة النّقد يصبح غير جدير بصفته(8). وعلى المختص في التاريخ أن يكون مولعًا بعمله من أجل هذا العمل لذاته، لا سعيا وراء شهرة أو فائدة مادية عاجلة، كما عليه الابتعاد عن التحيز أو الميل مع الهوى، عليه إن يحرّر نفسه قدر الإمكان من عواطفه وميولاته الشخصية، وأن يكون صاحب حس مرهف وعاطفة متزنة حتى يستطيع أن يدرك نوازع الآخرين، ويتمكن من تفسير أعمالهم وتصرفاتهم، والدوافع التي دفعتهم إلى هذه الأعمال والتصرفات(9).

وبعد دراسة التصدير الأول والثاني ظهر أن لسعد الله منهجا في كتابة التصدير، اتسم بالمميزات التالية: توطئة، وتعريف موجز بصاحب الكتاب، وتقييم الكتاب، والتهنئة والشكر، ومكان وتاريخ كتابة التصدير والتوقيع.

ونأتي الآن في شرح كل ميزة من تلك الميزات على حدى.

أ- **التوطئة:** في كلا التصديرين وطّأ سعد الله بمدخل موجز للتصدير أنبأ به عن تزكيته لفكرة الكتاب، وتبنيه للموضوع المدروس في الكتاب مع الإشارة إلى أهميته. ثم أردف ذلك بالإشادة بصاحب الكتاب بعبارات التزكية الموجزة، فنجده في العينة الأولى يستعمل عبارة "ولكن الميدان لم يبق فارغا من فرسان... ومِن هؤلاء..." (10). وأما في العينة الثانية فقد كتب قائلا: "والفضل في ذلك يرجع إلى الجيل الجديد من الباحثين وطلاب الدراسات العليا ومن هؤلاء ... (11)".

ب- تعريف موجز بصاحب الكتاب:

بعد استحسان سعد الله لموضوع الكتاب، وتزكيته لصاحبه، ينتقل إلى التعريف بصاحب الكتاب وبيان معرفته به، بعبارات تدل على ذلك، تأكيداً على أنه ينطلق من علم سابق بصاحب الكتاب، وهذا التزاما منه بشرط التعديل والتزكية. وهنا يظهر لنا المؤرخ سعد الله معرفة بقواعد التزكية والتعديل.

ت- تقييم الكتاب:

يركز المؤرخ سعد الله في تقييمه أثناء تصديره على محاسن الكتاب، تشجيعا لجهود صاحبه، وثناء على صواب اختياراته، وصحة نظرته، وجدّة بنائه لعمله في الكتاب. ومن العبارات المستعملة في العيّنة الأولى:

قوله: "وقد قاده البحث والاهتمام إلى ضرورة ..." (12) وقوله: " واكتشف بالتجربة والممارسة أن فهم تاريخنا ..." ، (13) وقوله : "وقد اجتهد في جمع وتصنيف..." (14)، وقوله :" ولم يكتف بالجمع والتصنيف بل أنه ..." (15) ، وقوله :" وأثرى عمله ..." (16) وغيرها من العبارات الدالة على الاستحسان والرضى.

أما العبارات الموظفة في العينة الثانية؛ فنجد قوله: "وقد ألمّت الباحثة بجوانب ..." (17)، ثم يقتبس قطعة من كلامها . وقوله: "ولقد درست الباحثة دراسة معمقة ..." (18) ثم قوله : "وبناء على ما انتهت إليه ..." (19)، وقوله : "وترى الكاتبة ..." (20)، وقوله: "وقد زودت الباحثة دراستها بملاحق هامة قليلا ما نعثر عليها في مصادر أخرى (21)."

ومن هنا يظهر أن منهج سعد الله في تقييم الكتابين الذي وافق على تصديرهما يعتمد على إبراز المحاسن والإيجابيات والتغاضي عن السلبيات والهفوات، وهو ما يُبرز البعد التوجيهي والإشرافي لتقييم سعد الله.

ث- التهنئة والشكر:

ختم المؤرخ سعد الله تصديره بتهنئة صاحب الكتاب، وقيمة العمل الذي بذله لإخراج عمله، وقيمة كتابه في ميدانه وتخصصه.

قال في التصدير الأول: "إنني لا أملك إلا أن أهنئ الأستاذ على جهده الذي سيقدره حق قدره جميع الذين يعرفون الفراغ الذي تعاني منه مكتباتنا في هذا الميدان".(22)

وفي التصدير الثاني قال : "إن كتاب الأستاذة سيسد فراغا في تخصصه وسيفتح شهية الباحثين الآخرين ليدخلوا ميدانا ظل حتى الآن مستعصيا على من يحاول الركض فيه"(23).

ج- مكان وتاريخ كتابة التصدير والتوقيع:

ذيّل المؤرخ سعد الله تصديره بذكر مكان كتابة تصديره، وتاريخ تحرير تصديره، والتوقيع باسمه الكامل. وهو ما يساعد على توثيق التزكية والتأريخ لها.

خاتمة

ظهر منهج سعد الله في التصدير متوازنا وثابتا ومحافظا على ميزاته الأساسية في كلا العينتين، رغم الفارق الزمني الطويل بين التصدير الأول والثاني، والذي تجاوز ربع قرن - وهي مدّة طويلة كفيلة بصقل خبرات المُصدِّر واتساع مداركه- وإن كان قد توسع أكثر في الإدلاء برأيه في تصديره للكتاب الثاني مسترسلا مع محتواه لجاذبية وطبيعة الموضوع.

وبهذا، يظهر سعد الله من خلال ممارسته لهذا المجهود العلمي، وفي محطات مختلفة من مسيرته العلمية، مساهما جادًّا وعمليا في تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية عن طريق تخريج أجيال من الباحثين في التاريخ الجزائري، والتعريف بهم، وتزكية نتاجهم. وقد ذكر عدّة شروط لظهور مدرسة تاريخية جزائرية منها "الباحث الكفء والمنهج العلمي والدخول إلى الوثيقة بحرية والمناخ الحر الذي يتقبل النقد البناء بصدر رحب. وقد ساهم في تحقق بعض هذه الشروط كما أوضحَته في هذه الدّراسة، وترك لغيره تجذير ما تحقق وانجاز ما لم يتحقق، ومواصلة الدرب.

الهوامش

1- مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ.د.أبوالقاسم سعدالله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ**، الحبر، الجزائر، 2008، ص.ص.16-103.

2- نفسه، ص.ص.177-179.

3- محمد المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء 12، مطبعة حكومة الكويت، 1972، ص.ص.293-294.

4- محمد بن منظور، لسان العرب، مادة "صدر"، الجزء السادس، ص.116

5- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصِّحاح، مادة "ص د ر" ، ضبط وتخريج وتعليق: مصطفى البغا، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة-الجزائر، 1990، ص.233.

6- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، د.م.ج، الجزائر، 2007، ص.06.

7- نجاة بيّة، المصالح الخاصة والتقنية لجبهة وجيش التحرير الوطني 1954-1962، الحبر،2010، ص.09.

8- محمد عوّاد حسين، "صناعة التاريخ"، في: عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد الأول، الفصل الثاني 1974، ص.120.

9- نفسه، ص.121.

10- عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص.05.

11- نجاة بيّة، المرجع السابق، ص.07.

12- عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص.05.

13- نفسه، نفس الصفحة

14- نفسه، ص.06.

15- نفسه، نفس الصفحة.

16- نفسه، نفس الصفحة.

17- نجاة بيّة، المرجع السابق، ص.07

18- نفسه، ص.09.

19- نفسه، نفس الصفحة.

20- نفسه، نفس الصفحة.

21- نفسه، ص.10.

22- عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص.06.

23- نجاة بيّة، **المرجع السابق**، ص.10.